الاسم لا في الحقيقة.

* **والفائدة المسلكية من هٰذا الحديث**: هو أننا إذا علمنا أن الله عز وجل يضحك؛ فإننا نرجو منه كل خير.

ولهٰذا قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله! أوَيضحك ربنا؟ قال: «نعم». قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً[1].

إذا علمنا ذٰلك؛ انفتح لنا الأمل في كل خير؛ لأن هناك فرقاً بين إنسان عبوس لا يكاد يُرى ضاحكاً، وبين إنسان يضحك.

وقد كان النبي ﷺ دائم البِشر كثير التبسُّم عليه الصلاة والسلام.

* * *

● **الحديث الرابع: في إثبات العجب وصفات أخرى.**

وهو قوله: «عَجِبَ رَبُّنا مِنْ قُنوطِ عِبادِه وقُرْبِ غِيَرِه؛ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ». حديث حسن[2].

---

(١) لما رواه وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، قال: قلت يا رسول الله! أويضحك الرب عز وجل قال: نعم، قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً»، رواه أحمد (٤/ ١١، ١٢)، وابن ماجه (١٨١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٨٧)، والآجري في «الشريعة» (٢٧٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٤)، والحديث حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨١٠) مخطوط، كما نقله عنه الأخ علي الحلبي في تحقيقه لـ «العقيدة الواسطية» (ص٤١)، وانظر ما بعده.

(٢) من حديث أبي رزين عند ابن كثير في تفسيره، لقوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا=

* العجب: هو استغراب الشيء، ويكون ذٰلك لسببين:

السبب الأول: خَفاء الأسباب على هٰذا المستغرب للشيء المتعجَّب منه؛ بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهٰذا مستحيل على الله تعالى؛ لأن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والثاني: أن يكون السبب فيه خروج هٰذا الشيء عن نظائره وعمّا ينبغي أن يكون عليه؛ بدون قصور من المتعجب؛ بحيث يعمل عملاً مستغرباً لا ينبغي أن يقع من مثله.

وهٰذا ثابت لله تعالى؛ لأنه ليس عن نقص من المتعجِّب، ولٰكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجَّب منه.

* قوله: «**عَجِبَ ربُّنا من قنوط عباده**»: القنوط: أشد اليأس. يعجب الرب عز وجل من دخول اليأس الشديد على قلوب العباد.

«**وقُربِ غِيَرِه**»: الواو بمعنى (مع)؛ يعني: مع قرب غيره.

و(الغير): اسم جمع غِيَرَة؛ كطِيَر: اسم جمع طِيَرَة، وهي اسم بمعنى التغيير، وعلى هٰذا؛ فيكون المعنى: وقرب تغييره.

فيعجب الرب عز وجل؛ كيف نقنط وهو سبحانه وتعالى

= الجنة...﴾ [البقرة: ٢١٤]، ولفظه: «عجب ربك...» الحديث. وبدل «غيره» «غيثه».

قريب التغيير، يغير الحال إلى حال أُخرى بكلمة واحدة، وهي: كُنْ. فيكون.

* وقوله: «**ينظر إليكم أَزِلين**»؛ أي: ينظر الله إلينا بعينه.

* «**أزِلين قَنِطين**»: الأزِل: الواقع في الشدة. و«قنطينَ»: جمع قانط، والقانط: اليائس من الفرج وزوال الشدة.

فذكر النبي ﷺ حال الإنسان وحال قلبه؛ حاله أنه واقع في شدة، وقلبه قانط يائس مستبعد للفَرَجِ.

* «**فيظل يضحك**»: يظل يضحك من هٰذه الحال العجيبة الغريبة؛ كيف تقنط من رحمة أرحم الراحمين الذي يقول للشيء: كنْ. فيكون؟!

* «**يعلم أن فرجكم قريب**»؛ أي: زوال شدتكم قريب.

* **في هٰذا الحديث عدة صفات:**

ـ أولاً: العجب؛ لقوله: «عجب ربنا من قنوط عباده».

وقد دلَّ على هٰذه الصفة القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]؛ على قراءة ضم التاء.

ـ وفيه أيضاً بيان قدرة الله عز وجل؛ لقوله: «وقرب غِيَرِه»، وأنه عز وجل تام القدرة، إذا أراد؛ غيَّر الحال من حال إلى ضدها في وقت قريب.

ـ وفيه أيضاً إثبات النظر؛ لقوله: «ينظر إليكم».

ـ وفيه إثبات الضحك؛ لقوله: «فيظل يضحك».

ـ وكذٰلك العلم؛ «يعلم أن فرجكم قريب».

ـ والرحمة؛ لأن الفرج من الله دليل على رحمة الله بعباده.

وكل هٰذه الصفات التي دلَّ عليها الحديث يجب علينا أن نثبتها لله عز وجل حقّاً على حقيقتها، ولا نتأول فيها.

* **والفائدة المسلكية في هٰذا**: أن الإنسان إذا علم ذٰلك من الله سبحانه وتعالى؛ حذر من هٰذا الأمر، وهو القنوط من رحمة الله، ولهٰذا؛ كان القنوط من رحمة الله من الكبائر:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

فالقنوط من رحمة الله، واستبعاد الرحمة: من كبائر الذنوب، والواجب على الإنسان أن يحسن الظن بربه؛ إن دعاه؛ أحسن الظن به بأنه سيجيبه، وإن تعبَّد له بمقتضى شرعه؛ فليحسن الظن بأن الله سوف يقبل منه، وإن وقعت به شدة؛ فليحسن الظن بأن الله سوف يزيلها؛ لقول النبي ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»[1].

---

(١) قطعة من الحديث الذي رواه الإمام أحمد (١/٣٠٧)، والترمذي (٢٥١٨)، وقال حديث حسن صحيح، وأبو يعلى (٢٥٥٦) عن ابن عباس. قال الحافظ ابن رجب =

بل قد قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦]، ولن يغلب عسر يسرين؛ كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

* * *

● **الحديث الخامس: في إثبات الرجل أو القدم:**

وهو قوله ﷺ: «لا تزال جهَنَّمُ يُلْقى فيها، وهيَ تَقولُ: هَلْ مِنْ مَزيدٍ؛ حتّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فيها رِجْلَهُ (وفي رواية: عليها قَدَمَهُ)، فيَنْزَوي بَعْضُها إلى بَعْضٍ، فتَقولُ: قَطْ قَطْ». متفق عليه[1].

* قوله: «**لا تزال جهنمُ يُلْقى فيها**»: هٰذا يوم القيامة؛ يعني: يُلقى فيها الناس والحجارة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقد يقال: يُلقى فيها الناس فقط، وأن الحجارة لم تزل موجودة فيها، والعلم عند الله.

* «**يُلْقَى فيها**»: في هٰذا دليل على أن أهلها ـ والعياذ بالله ـ يُلْقَون فيها إلقاء لا يدخلون مكرَّمين، بل يدَعُّون إلى نار جهنم دَعّاً؛ ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

* قوله: «**وهي تقول: هل من مزيد؟**»: (هل): للطلب؛

= في شرحه لهذا الحديث في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٦٠): وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة، وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي.

(١) رواه: البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨)؛ عن أنس رضي الله عنه.

يعني: زيدوا. وأبعد النجعة من قال: إن الاستفهام هنا للنفي، والمعنى على زعمه: لا مزيد على ما فيَّ، والدليل على بطلان هٰذا التأويل:

* قوله: «**حتى يضع رب العزة فيها رجله (وفي رواية: عليها قدمه)**»: لأن هٰذا يدل على أنها تطلب زيادة، وإلا؛ لما وضع الله عليها رجله حتى ينزوي بعضها إلى بعض؛ فكأنها تطلب بشوق إلى من يلقى فيها زيادة على ما فيها.

* قوله: «**حتى يضع رب العزة**»: عَبَّر برب العزة؛ لأن المقام مقام عزَّة وغلبة وقهر.

وهنا (رب)؛ بمعنى: صاحب، وليست بمعنى خالق؛ لأن العزة صفة من صفات الله، وصفات الله تعالى غير مخلوقة.

* وقوله: «**فيها رجله**»، وفي رواية: «عليها قدمه»: (في) و (على): معناهما واحد هنا، والظاهر أن (في) بمعنى (على)؛ كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طٰه: ٧١]؛ أي: عليها.

أما الرجل والقدم؛ فمعناهما واحد، وسميت رجل الإنسان قدماً؛ لأنها تتقدم في المشي؛ فإن الإنسان لا يستطيع أن يمشي برجله إلا إذا قدمها.

* قوله: «**فينزوي بعضها إلى بعض**»؛ يعني: ينضم بعضها إلى بعض من عظمة قدم الباري عز وجل.

* قوله: «**فتقول: قط قط**»؛ بمعنى: حسبي حسبي؛ يعني:

لا أريد أحداً.

* **في هٰذا الحديث من الصفات:**

أولاً: إثبات القول من الجماد؛ لقوله: «وهي تقول»، وكذٰلك: «فتقول: قط قط»، وهو دليل على قدرة الله الذي أنطق كل شيء.

ثانياً: التحذير من النار؛ لقوله: «لا تزال جهنم يُلْقَى فيها، وهي تقول: هل من مزيد؟».

ثالثاً: إثبات فضل الله عز وجل؛ فإن الله تعالى تكفَّل للنار بأن يملأها كما قال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]؛ فإذا دخلها أهلها، وبقي فيها فضل، وقالت: هل من مزيد؟ وضع الله عليها رجله، فانزوى بعضها إلى بعض، وامتلأت بهٰذا الانزواء.

وهٰذا من فضل الله عز وجل؛ وإلا؛ فإن الله قادر على أن يخلق أقواماً ويكمل ملأها بهم، ولٰكنه عز وجل لا يعذب أحداً بغير ذنب؛ بخلاف الجنة، فيبقى فيها فضل عمن دخلها من أهل الدنيا، فيخلق الله أقواماً يوم القيامة ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته.

رابعاً: أن لله تعالى رجلاً وقدماً حقيقية، لا تماثل أرجل المخلوقين، ويسمي أهل السنة مثل هٰذه الصفة: الصفة الذاتية الخبرية؛ لأنها لم تعلم إلا بالخبر، ولأن مسماها أبعاض لنا

وأجزاء، لٰكن لا نقول بالنسبة لله: إنها أبعاض وأجزاء؛ لأن هٰذا ممتنع على الله عز وجل.

وخالف الأشاعرة وأهل التحريف في ذٰلك، فقالوا: «يضع عليها رجله»؛ يعني: طائفة من عباده مستحقين للدخول، والرجل تأتي بمعنى الطائفة؛ كما في حديث أيوب عليه الصلاة والسلام[1]؛ أرسل الله إليه رجل جراد من ذهب؛ يعني: طائفة من جراد.

وهٰذا تحريف باطل؛ لأن قوله: «عليها»: يمنع ذٰلك.

وأيضاً؛ لا يمكن أن يضيف الله عز وجل أهل النار إلى نفسه؛ لأن إضافة الشيء إلى الله تكريم وتشريف.

وقالوا في القدم: قدم؛ بمعنى: مقدم؛ أي: يضع الله تعالى عليها مقدمه؛ أي: من يقدمهم إلى النار.

وهٰذا باطل أيضاً؛ فإن أهل النار لا يقدمهم الباري عز وجل، ولٰكنهم ﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، ويلقون فيها إلقاء؛ فهٰؤلاء المحرفون فروا من شيء ووقعوا في شرٍّ منه؛ فروا من تنزيه الله عن القدم والرجل، لٰكنهم وقعوا في السفه ومجانبة الحكمة في أفعال الله عز وجل.

والحاصل أنه يجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى قدماً، وإن شئنا؛ قلنا: رجلاً؛ على سبيل الحقيقة؛ مع عدم المماثلة، ولا نكيِّف الرجل؛ لأن النبي ﷺ أخبرنا بأن لله تعالى رجلاً أو قدماً،

---

(١) رواه البخاري (٣٣٩١، ٧٤٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولم يخبرنا كيف هٰذه الرجل أو القدم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

* **والفائدة المسلكية من هٰذا الحديث**: هو الحذر الشديد من عمل أهل النار؛ خشية أن يلقى الإنسان فيها كما يلقى غيره.

* * *

● **الحديث السادس: في إثبات الكلام والصوت:**

وهو قوله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعالى: يا آدَمُ! فَيَقولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنادِي بِصَوْتٍ: إنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إلى النَّارِ...». متفق عليه[1].

الشرح:

* يخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه أنه يقول: يا آدم! وهٰذا يوم القيامة، فيجيب آدم: «لبيك وسعديك».

* «**لبيك**»؛ بمعنى: إجابة بعد إجابة، وهو مثنى لفظاً، ومعناه: الجمع، ولهٰذا يعرب على أنه ملحق بالمثنى.

* و«**سعديك**»؛ يعني: إسعاداً بعد إسعاد؛ فأنا ألبي قولك وأسألك أن تسعدني وتعينني.

* قال: «**فينادي**»؛ أي: الله؛ فالفاعل هو الله عز وجل.

---

(١) رواه: البخاري (٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

* وقوله: «**بصوت**»: هٰذا من باب التأكيد؛ لأن النداء لا يكون إلا بصوت مرتفع؛ فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ فالطائر الذي يطير؛ إنما يطير بجناحيه، وهٰذا من باب التأكيد.

* وقوله: «**إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**»: ولم يقل: إني آمرك! وهٰذا من باب الكبرياء والعظمة؛ حيث كنى عن نفسه تعالى بكنية الغائب، فقال: «إن الله يأمرك»؛ كما يقول الملك لجنوده: إنَّ الملك يأمركم بكذا وكذا؛ تفاخراً وتعاظماً، والله سبحانه هو المتكبر وهو العظيم.

وجاء في القرآن مثل هٰذا: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ولم يقل: إني آمركم.

* وقوله: «**أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**»؛ أي: مبعوثاً.

* والحديث الآخر؛ قال: «يا رب! وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعون»[1].

* * *

● **الحديث السابع في إثبات الكلام أيضاً:**

وهو قوله ﷺ: «ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ولَيْسَ

---

(١) رواه: البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ»[1].

الشرح:

* «**ما**»: نافية.

* «**من أحد**»: مبتدأ؛ دخلت عليه (من) الزائدة للتوكيد؛ يعني: ما منكم من أحد.

* «**إلا سيكلمه ربه**»؛ يعني: هٰذه حاله؛ سيكلمه الله عز وجل؛ «**ليس بينه وبينه ترجمان**»، وذٰلك يوم القيامة.

* والترجمان: هو الذي يكون واسطة بين متكلمين مختلفين في اللغة، ينقل إلى أحدهما كلام الآخر باللغة التي يفهمها.

ويشترط في المترجم أربعة شروط: الأمانة، وأن يكون عالماً باللغة التي يترجم منها، وباللغة التي يترجم إليها، وبالموضوع الذي يترجمه.

* **وفي هٰذا الحديث من صفات الله**: الكلام، وأنه بصوت مسموع مفهوم.

* **الفوائد المسلكية في الحديث الأول**: «يقول الله: يا آدم!»: فيه بيان أن الإنسان إذا علم بذٰلك؛ فإنه يحذر ويخاف أن يكون من التسع مئة والتسعة والتسعين.

وفي الحديث الثاني: يخاف الإنسان من ذٰلك الكلام الذي

---

(١) رواه: البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

يجري بينه وبين ربه عز وجل أن يفتضح بين يدي الله إذا كلمه تعالى بذنوبه، فيقلع عن الذنوب، ويخاف من الله عز وجل.

* * *

● **الحديث الثامن: في إثبات العلو لله وصفات أخرى:**

وهو قوله ﷺ في رُقْيَةِ المريض: «رَبَّنا اللهُ الذي في السَّماءِ! تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أمْرُكَ في السَّماءِ والأرْضِ؛ كما رَحْمَتُكَ في السَّماءِ؛ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ في الأرْضِ، اغْفِرْ لَنا حُوبَنا وخَطايانا، أنتَ رَبُّ الطَّيِّبينَ، أنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفاءً مِنْ شِفائِكَ على هٰذا الوَجِعِ؛ فَيَبْرَأ». حديث حسن، رواه أبو داود وغيره[1].

الشرح:

* قوله: «**في رُقْيَة المريض**»: من باب إضافة المصدر إلى المفعول؛ يعني: في الرقية إذا قرأ على المريض.

* قوله: «**ربنا الله الذي في السماء**»: تقدم الكلام على قوله: «في السماء» في الآيات.

* وقوله: «**تقدَّس اسمُك**»؛ أي: طهر، والاسم هنا مفرد،

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٢)، وأحمد (٦/ ٢٠)، واللالكائي (٦٤٨)، والحاكم (١/ ٣٤٤)، وصححه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٥٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٩٢)، وابن قدامة في «العلو» (ص٤٨)، والدارمي في «الرد على الجهمية (٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» كما في «تحفة الأشراف» (٨/ ٢٣٠).

لٰكنه مضاف، فيشمل كل الأسماء؛ أي: تقدست أسماؤك من كل نقص.

* «**أمرك في السماء والأرض**»: أمر الله نافذ في السماء والأرض؛ كما قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

* وقوله: «**كما رحمتك في السماء؛ اجعل رحمتك في الأرض**»: الكاف هنا للتعليل، والمراد بها التوسُّل؛ توسل إلى الله تعالى بجعل رحمته في السماء أن يجعلها في الأرض.

فإن قلت: أليس رحمة الله في الأرض أيضاً؟!

قلنا: هو يقرأ على المريض، والمريض يحتاج إلى رحمة خاصة يزول بها مرضه.

* وقوله: «**اغفر لنا حُوبنا وخطايانا**»: الغفر: ستر الذنب والتجاوز عنه. والحوب: كبائر الإثم. والخطايا: صغائره. هٰذا إذا جمع بينهما، أما إذا افترقا؛ فهما بمعنى واحد؛ يعني: اغفر لنا كبائر الأثم وصغائره؛ لأن في المغفرة زوال المكروب وحصول المطلوب، ولأن الذنوب قد تحول بين الإنسان وبين توفيقه؛ فلا يوفَّق ولا يُجاب دعاؤه.

* قوله: «**أنت رب الطَّيِّبين**»: هٰذه ربوبية خاصة، وأما الربوبية العامة؛ فهو رب كل شيء، والربوبية قد تكون خاصة وقد تكون عامة.

واستمع إلى قول السحرة الذين آمنوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١ ـ ١٢٣]؛ حيث عموا ثم خصوا.

واستمع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٩١]؛ فـ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾: خاص، ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: عام.

* والطيبون: هم المؤمنون؛ فكل مؤمن؛ فهو طيب، وهٰذا من باب التوسل بهٰذه الربوبية الخاصة، إلى أن يستجيب الله الدعاء ويشفي المريض.

* قوله: «**أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هٰذا الوجع**»: هٰذا الدعاء وما سبقه من باب التوسل.

* «**أنزل رحمة من رحمتك**»: الرحمة نوعان:

ـ رحمة هي صفة الله؛ فهٰذه غير مخلوقة وغير بائنة من الله عز وجل؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، ولا يطلب نزولها.

ـ ورحمة مخلوقة، لٰكنها أثر من آثار رحمة الله؛ فأطلق عليها الرحمة؛ مثل قوله تعالى في الحديث القدسي عن الجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء»[1].

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٤٤)، وهو في «الصحيحين».

* كذٰلك الشفاء؛ فالله شاف، ومنه الشفاء؛ فوصفه الشفاء، وهو فعل من أفعاله، وهو بهٰذا المعنى صفة من صفاته، وأما باعتبار تعديه إلى المريض؛ فهو مخلوق من مخلوقاته؛ فإن الشفاء زوال المرض.

* قوله: «فيبرأ»: بفتح الهمزة منصوباً؛ لأنه جواب الدعاء: أنزل رحمة؛ فيبرأ. أما إذا قرىء بالضم مرفوعاً؛ فإنه مستأنف، ولا يتبع الحديث، بل يوقف عند قوله: «الوجع»، وتكون «فيبرأ»: جملة خبرية تفيد أن الإنسان إذا قرأ بهٰذه الرقية؛ فإن المريض يبرأ، ولٰكن الوجه الأول أحسن وهو بالنصب.

* * *

● **الحديث التاسع: في إثبات العلو أيضاً:**

وهو قوله ﷺ: «أَلا تَأْمَنوني وأَنا أَمينُ مَنْ في السَّماءِ»[1].

الشرح:

* «**ألا تأمنوني**»: فيها إشكال لغوي، وهو حذف نون الفعل بدون ناصب ولا جازم!!

والجواب عن هٰذا: أنه إذا اتصلت نون الوقاية بفعل من الأفعال الخمسة؛ جاز حذف نون الرفع.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

* «**ألا تأمنوني**»؛ أي: ألا تعتبروني أميناً.

* «**وأنا أمين من في السماء**»: والذي في السماء هو الله عز وجل، وهو أمينه عليه الصلاة والسلام على وحيه، وهو سيد الأمناء عليه الصلاة والسلام، والرسول والذي ينزل عليه جبريل هو أيضاً أمين: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٠].

* وهٰذا الحديث له سبب، وهو أن النبي ﷺ قسم ذهيبة بعث بها علي من اليمن بين أربعة نفر، فقال له رجل: نحن أحق بهٰذا من هٰؤلاء. فقال النبي ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء».

* «**ألا**»: للعرض؛ كأنه يقول: ائمنوني؛ فإني أمين من في السماء!

ويحتمل أن تكون الهمزة لاستفهام الإنكار، و(لا): نافية.

* والشاهد قوله: «**من في السماء**»، ونقول فيها ما قلناه فيما سبق في الآيات.

* * *

● **الحديث العاشر: في إثبات العلو أيضاً:**

وهو قوله ﷺ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ الماءِ، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ». حديث حسن، رواه أبو داود

وغيره[1].

الشرح:

* لما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام المسافات التي بين السماوات؛ قال: «والعرش فوق الماء».

ويشهد لهٰذا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

* قال: «**والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه**»: هو فوق العرش، ومع ذٰلك لا يخفى عليه شيء من أحوالنا وأعمالنا، بل قد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [قٓ: ١٦]؛ يعني: الشيء الذي في ضميرك يعلمه الله؛ مع أنه ما بان لأحد.

* وقوله: «**وهو يعلم ما أنتم عليه**»: يفيد إحاطة علم الله بكل ما نحن عليه.

* **الفائدة المسلكية من هٰذا الحديث:**

وإذا آمنا بهٰذا الحديث؛ فإننا نستفيد منه فائدة مسلكية، وهي

---

(١) رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (١/ ٢٤٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥١)، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» (٢٧٩)، واللالكائي في «شرح السنة» (٦٥٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٨١)، وقال الذهبي: في «مختصر العلو» (١٠٣) إسناده صحيح، وعزاه الهيثمي في «المجمع» (١/ ٨٦) للطبراني في «الكبير» وقال: رجاله رجال الصحيح.

تعظيم الله عز وجل، وأنه في العلو، وأنه يعلم ما نحن عليه، فنقوم بطاعته؛ بحيث لا يفقدنا حيث أمرنا، ولا يجدنا حيث نهانا.

* * *

● **الحديث الحادي عشر: في إثبات العلو أيضاً:**

وهو قوله ﷺ للجارية: «أيْنَ اللهُ؟». قالت: في السماء. قال: «مَنْ أنا؟». قالت: أنت رسول الله. قال: «أعْتِقْها؛ فإنَّها مُؤْمِنَة». رواه مسلم[1].

الشرح:

* **قوله: «أين الله؟»**: (أين): يستفهم بها عن المكان.

* **«قالت: في السماء»**؛ يعني: على السماء، أو: في العلو؛ على حسب الاحتمالين السابقين[2].

* **«قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»**.

وعند أهل التعطيل هي بقولها: «في السماء»: إذا أرادت أنه في العلو؛ هي كافرة!! لأنهم يرون أن من أثبت أن الله في جهة؛ فهو كافر؛ إذ يقولون: إن الجهات خالية منه.

واستفهام النبي ﷺ بـ (أين) يدل على أن لله مكاناً.

ولٰكن يجب أن نعلم أن الله تعالى لا تحيط به الأمكنة؛ لأنه

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٨٥).

(٢) (١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

أكبر من كل شيء، وأن ما فوق الكون عدم، ما ثَمَّ إلا الله؛ فهو فوق كل شيء.

* وفي قوله: «**أعتقها؛ فإنها مؤمنة**»: دليل على أن عتق الكافر ليس بمشروع، ولهٰذا لا يجزىء عتقه في الكفارات؛ لأن بقاء الكافر عندك رقيقاً؛ فيه نوع حماية له وسلطة وإمرة وتقريب من الإسلام؛ فإذا أعتقته؛ تحرر، وإذا تحرر؛ فيخشى منه أن يرجع إلى بلاد الكفر؛ لأن أصل الرق هو الكفر، ويبقى معيناً للكافرين على المؤمنين.

* * *

● **الحديث الثاني عشر: في إثبات المعية:**

وهو قوله ﷺ: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت». حديث حسن، أخرجه الطبراني من حديث عبادة بن الصامت[1].

الشرح:

* أفاد الحديث معيَّة الله عز وجل، وقد سبق في الآيات أن معية الله لا تستلزم أن يكون في الأرض، بل يمتنع غاية الامتناع أن يكون في الأرض؛ لأن العلو من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها أبداً، بل هي لازمة له سبحانه وتعالى.

---

(١) سبق تخريجه (١/٤٠٧).

وسبق[1] أيضاً أنها قسمان.

* وقول الرسول ﷺ: «**أفضل الإيمان أن تعلم**»: يدل على أن الإيمان يتفاضل؛ لأنك إذا علمت أن الله معك حيثما كنت؛ خفت منه عز وجل وعظَّمته.

لو كنت في حجرة مظلمة ليس فيها أحد؛ فاعلم أن الله معك، لا في الحجرة؛ لٰكنه سبحانه وتعالى معك؛ لإحاطته بك علماً وقدرة وسلطاناً وغير ذٰلك من معاني ربوبيته.

● **الحديث الثالث عشر: في إثبات كون الله قبل وجه المصلي:**

وهو قوله ﷺ: «إذا قامَ أَحَدُكُمْ إلىٰ الصَّلاة؛ فَلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلا عَنْ يَمينِهِ؛ فإنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، ولٰكِنْ عَنْ يَسارِهِ، أو تَحْتَ قَدَمِهِ». متفق عليه[2].

الشرح:

* «**قبل وجهه**»؛ يعني: أمامه.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

* «**يمينه**»: ورد فيه حديث: «فإن عن يمينه ملكاً[3]»، ولأن

---

(١) (١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٨).

(٢) البخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٤٧)؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) البخاري (٤١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

اليمين أفضل من الشمال، فيكون اليسار أولى بالبصاق ونحوه، ولهٰذا قال: «ولٰكن عن يساره أو تحت قدمه».

فإن كان في المسجد؛ قال العلماء: فإنه يجعل البصاق في خرقة أو منديل أو ثوبه، ويحك بعضه ببعض، حتى تزول صورة البصاق، وإذا كان الإنسان في المسجد عند الجدار، والجدار قصير عن يساره؛ فإنه يمكن أن يبصق عن يساره إذا لم يؤذ أحداً من المارة.

* **يستفاد من هٰذا الحديث**: أن الله تبارك وتعالى أمام وجه المصلي، ولٰكن يجب أن نعلم أن الذي قال: إنه أمام وجه المصلي؛ هو الذي قال: إنه في السماء، ولا تناقض في كلامه هٰذا وهٰذا؛ إذ يمكن الجمع من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن الشرع جمع بينهما، ولا يجمع بين متناقضين.

الوجه الثاني: أنه يمكن أن يكون الشيء عالياً، وهو قِبَل وجهك؛ فها هو الرجل يستقبل الشمس أول النهار، فتكون أمامه، وهي في السماء، ويستقبلها في آخر النهار، تكون أمامه، وهي في السماء؛ فإذا كان هٰذا ممكناً في المخلوق؛ ففي الخالق من باب أولى بلا شك.

الوجه الثالث: هب أن هٰذا ممتنع في المخلوق؛ فإنه لا يمتنع في الخالق؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

يستفاد من هذا الحديث من الناحية المسلكية وجوب الأدب مع الله عز وجل ويستفاد أنه متى آمن المصلي بذلك فإنه يحدث له خشوعاً وهيبة من الله عز وجل.

● **الحديث الرابع عشر: في إثبات العلو وصفات أخرى:**

وهو قوله ﷺ: «اللهُمَّ! رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَالأرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظيمِ! رَبَّنا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ! فالِقَ الحَبِّ والنَّوَى! مُنْزِلَ التَّوْراةِ وَالإنْجيلِ وَالقُرْآنِ! أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها. أنْتَ الأوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وأنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وأنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وأنْتَ الباطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وأغْنِني مِنَ الفَقْرِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

* هٰذا حديث عظيم، توسل النبي ﷺ إلى الله تعالى بربوبيته في قوله: «اللهم! رب السماوات السبع والأرض! ورب العرش العظيم! ربنا ورب كل شيء!»، وهٰذا من باب التعميم بعد التخصيص في قوله: «ورب كل شيء»، وهٰذا التعميم بعد التخصيص؛ لئلا يتوهم واهم اختصاص الحكم بما خصص به.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٩١]؛ حيث قال: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ

(١) مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.